

بطاقة...

للدكتور محمد ناجي



بطاقة تحمل على صدرها اسم صاحبها مجرداً من أى لقب ،
وخلوا من أى عنوان أو رقم تلفون ؛ وكأنى به لا يحمل لقباً ،
ولا يعرف لنفسه عنواناً ، ولا يملك رقم تلفون ، ولم يمن الله عليه
إلا يعضة قروش ثمن بطاقته

صرت تلك البطاقة على ناظرى ، ثم جالت بخاطرى ، حتى
شغلتنى عن أمرى ، فعجبت لها أيما عجب !

بطاقة فريدة فى نظمها ، عجبية فى نثرها ، قليلة فى لفظها ،
غفرت فى أمرها ، وضائق فى تفسيرها ، ولم أدر ما شأنها ومن
يكون حاملها ؟

إنها تخالف بطاقات العصر ، هى فى واد والعصر فى واد .
بطاقات العصر تحمل من الألقاب والمناوبات والأرقام ما ليس لها
ومالها ، كأن الشيطان أوحى لها ، حتى لا تدع موضعاً للقب جديد ،
أو زيادة لستريد ...

فمن يكون هذا الذى يخالف العصر فى بطاقته ، ويزأباً المعجب
فى نزاعه ؟ إنه محمد طامت حرب . ذلك الرجل المتواضع حتى
فى بطاقته ، ولو شاء أن يسطر اسمه وألقابه وعنواناته وتلفوناته
لكانت بطاقته كتاباً

إن بطاقته تحمل فى نفسها أدب الإعلان عن النفس ، إنها
لحكمة بالغة ، تسيطر على الحس والنظر والفؤاد ، إذ لها فى كل
قلب مستقر وفى كل واد أثر . هذه هى البطاقة التى برت الزمن
وعلمت المصرى ما لم يكن يعلم . إنها تذكرة القدر ، وإنها
لإحدى العبر ، فطوبى لمن قرأ وادكر ، وعرف قدر نفسه
واعتبر ...

محمد ناجي

عضو القومسيون الطبي العام

وفهمت وقتئذ كيف شذ ابن العربى عن أشباع نظرية وحدة
الوجود المادية فتوجه بها إلى عبادة الخالق والشعور بالافتقار إليه
تعالى ، وهى عبادة الضميف للقوى والفقير للفنى . وفهمت كيف
أنه بالرغم من شعوره الدينى الإسلامى العميق قال بوحدة الأديان
لأنها جميعاً تدعو إلى عبادة الواحد المتجلى فى صورهم وصور
جميع المعبودات

والحق أننى اليوم وأنا أكتب إليك بين جدران حجرى
أجد من الصعب أن أذكر كل هذه الخواطر التى صرت بذهنى
بينما كنت آنحدر من جبل « قاسيون » إلى دمشق .

وبعد فإنى أرجو ألا نجد فى هذه الرسالة صورة كاملة
لابن العربى ، ولكنها خواطر جالت بفكرى عند ما أردت
أن أنبهك إلى ضرورة زيارة ضريحه . وأنت تجد أنى لم أحدثك
عن حياته وآرائه ومؤلفاته وما قام حول مذهبه من جدل حمل
بعضهم على رمية بالكفر وما كان من أثره بين أهل الشرق
والغرب وخاصة ما وجده المستشرق الإسبانى « ميغل اسبن »
من شبه بينه وبين « دانتي » فألف كتاباً قرر فيه أن الشاعر
الإيطالى أخذ كثيراً عن المتصوف العربى وتأثر به فى نظم قصيدته
الطالدة « الكوميديا الإلهية » أو كما قال البحانة الإنكليزى
« ألفريد جيوم » إن ابن العربى كان من الذين « أخرجوا للناس
المنافج المدهشة الأولى للكوميديا الإلهية »

على أننى لا أريد أن أختم رسالتى إليك قبل أن أروى لك
قصة ذات دلالة كبيرة على طريقة هؤلاء الصوفيين ومنازعهم
الفكرية والتأملية . فقد رووا أن ابن العربى اجتمع بالشهاب
السهروردى فأطرق كل واحد منهما ساعة ثم اقترعا من غير كلام .
فقيل لابن العربى ما تقول فى السهروردي ؟ فقال : « مملوء سنة
من قرنه إلى قدمه » وقيل للسهروردى ما تقول فى الشيخ محيى
الدين ؟ فأجاب : « بحر حقائق »

ولعلك تكون يا أخى أكثر توفيقاً منى عند زيارة ضريح
ابن العربى وأعق شعوراً بما يطوف بك من جمال .

صمد بن شبيب

(الأسكندرية)